مجلة كل العرب

هلنا

تأسست يونيو 2023

رئيس التحرير
عيد وحيده
رئيس القسم الليبي
خالد سليمان الزغيبي
رئيس مجلس الإدارة
عصمت ضيف الله الملهطاني

العدد ٣٦
يونيه ٢٠٢٦
السنة الرابعة







هلنا تحتفل بمرور ثلاثة أعوام على تأسيسها

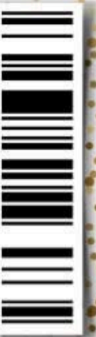




العيد الثالث لمجلة هلنا

اليوم تحتفل مجلة «هلنا» بعيدها الثالث، ومرور ثلاثة أعوام على تأسيسها. وإنَّ الخاطرَ لمكتظٌّ بالمشاعر والكلمات..
فليتَني أملك في ذاكرتي كلَّ اللغات، كي لا يبقى شعورٌ أو معنى في خاطري إلا استطعتُ أن أوصله إليكم.

مكتظٌّ بكلمات الشكر والامتنان لكتَّابنا الأعزاء، الذينِ لم يألوا جهدًا، ولم يصبهم مللٌ، ولم يُعِقْهم طولُ المسافات عن تعقُّب هدفهم. وقد بلغ بهم الوعي والثقافة والتجرُّد من الأهواء إلى حدِّ الإيمان بالعمل الجماعي والإخلاص فيه، من أجل إخراج عمل عظيم.



ومكتظٌّ بكلمات الامتنان ومشاعر المحبة لقُرَّاء مجلة «هلنا»، الذينِ كانت تعليقاتهم وإعجاباتهم قناديلَ منيرةً لنا في طريق مظلم طويل، تمنحنا الدفء، وتؤنسنا في وحشته ، وتهدينا إلى خارطة الوصول.

لقد فقدنا الكثيرَ من إبداعات أجدادنا، وما أفرزته محاسنُ أخلاقهم، ونبوغُ بلاغتهم، وحكمتهم التي





اكتسبوها من دروب ترحالهم وقسوتها ، وتقلُّبِ خلائق الرجال وطباعهم فيها.. فقدنا الكثير من تاريخ أجدادنا وتراثهم؛ لأن كل هذه الإبداعات وهذا الثراء الإنساني كان يُنقل شفهيًّ ا فقط، وما أكثر ما لعبت به الذاكرةُ من نسيان أو سهو أو تشويه. فكيف لشاعر عظيم كخليل شويعر (١٩٠٢) الذي قال:

حمامات عَقْلي مَالمواجع طارن
مابن علي برج الخراب يردن
عروق المحنة من الجفا ينسدن
والسيات من الصاحب بعيد أيودن
كثر الجفا يبريهن والصبر قادر
ربنا يشفيهن

كيف لهذا الشاعر العظيم أن تذهب كل أشعاره وإبداعاته أدراجَ الرياح دون توثيق؟ فلا نجد له في أي مكان سوى قصيدتين مبعثرتين.







العيد الثالث لمجلة هلنا

وكيف لشاعر عظيم كعبد المنعم مرسي البرهومي أَلَّا يصلَنا من أشعاره العظيمة سوى ما وثَّقه الشيخ صديق في أغانيه؟! (أكتب هذه الكلمات وأنا في غاية الحزن على فراق الحاج حامد ابن الشاعر الكبير منذ أيام ، الذي وعدني قبل وفاته بنشر كل قصائد والده التي لم تُغنى والتي كانت في حوزة الحاج حامد .. فاللهم تقبله في رحمتك واسكنه فسيح جناتك). فلا بدَّ أن نعمل على نشرها وتوثيقها لتطلَّع عليها الأجيال والمبدعون.



اخر لقاء بيني وبين الحاج حامد عبد المنعم مرسي وكان قد وعدني بإعطائي كل قصائد والده وخصوصًا التي لم تُغنى وهي من روائع الشعر النادرة







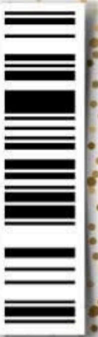
وكيف لتاريخ طويل وأمجاد ومواقف أخلاقية نبيلة لأجدادنا أن تندثر لأنها لم تُوثَّق، واعتُمد في نقلها على ذاكرة قد تختفي بالموت أو تتشوَّه بالنقل؟ وكيف لأنساب أن تختلط وتندثر لخضوعها لأهواء النقل الشفهي؟

إنَّ الاطلاع على الإرث الأخلاقي للأجداد عند كل الشعوب هو الذي تستند إليه الأجيال في ثبات أخلاقها وعدم انحرافها، بينما تجاهل هذا الإرث قد يذهب بأخلاق هذه الأجيال وعاداتها إلى الانحراف وفقدان الهوية.

ها نحن ذا في بداية عامنا الرابع، ونحن نعمل بجدٍّ ومثابرة لنحاول توثيق وحفظ ما بقي من تراث وأدبٍ وتقاليد وحكمة أجدادنا، لنكون حلقةً قويةً صادقةً أمينةً بينهم وبين أجيالنا القادمة.

ومن أجل ذلك، أقول لكل من لديه من تاريخ أجدادنا إرثٌ عظيم: هَلُمُّوا إلينا بما لديكم، لا تبخلوا علينا بما عندكم؛ فنحن أمناء. سنوثِّق هذه الكنوز لتكون مرجعًا لنا، نقيس عليها أخلاقنا وانحدارَنا، وما فعلته بنا سوءُ المقاصد واختلاطُ المعاشر.

العيد الثالث لمجلة هلنا







ومكتظٌّ خاطري بالشكر للسادة الكتاب المبدعين الذين ليست لهم أصول بدوية، فقد أضافت إبداعاتُكم الرائعة ومقالاتُكم الهادفة للمجلة رونقًا وتنوُّعًا وامتزاجًا لثقافات الوطن الواحد، ذلك الامتزاج والتنوع الذي تقوم عليه حضارات الأمم العظيمة.

وملءَ قلبي بالشكر أيضًا لقُرَّاء مجلة «هلنا» الذين ليست لهم أصولٍ بدوية، وأتمنى أن تكون المجلة فرصةً لهم للوقوف عن قرب على ملامح الثقافة البدوية في مصر وليبيا ودول المغرب العربي، ذلك البُعد الذي ظلَّ مجهولًا لديهم لفترات طويلة.

وستبقى أعداد مجلة «هلنا» وموقعها الإلكتروني في الأرشيف، لتطلَّع عليها الأجيال القادمة وتتعلَّم منها، وليظهر جليًا لأشقائنا في الوطن سموُّ أخلاق أهل البادية، ونبلُ مسعاهم، ورقيُّ فكرهم.



تحياتي لحضراتكم جميعًا، وكل عام وأنتم بخير.

عصمت ضيف الله الملهطاني



السادة الحاصلون على نجوم ذهبية

الاسم	النجوم
شيخ الصحفيين . عيد وحيده	
م. محمود الفحام	
الصحفي . حسني جرامون	★★★
أ. ناجي بو المسمارية	★★
د. خالد الزغيبي	★★
أ.د. إبراهيم العايش	★★
الأثري . عبد الله لعشيبي	★★
د.م. إبراهيم شعبان	★
أ. عبد الله أبو زوير	★
أ.د. حسن شعبان	★
أ. صابرين الصباغ	★
أ. فدوره العجني	★
د. رمضان ياسين	★

مجلة كل العرب
هلنا
العدد ٣٦ - يونيه ٢٠٢٦
تأسست يونيو 2023
السنة الثالثة




نبارك للأستاذ عبد الله موسى لعشيبي حصوله على النجمة الثانية



إقرأ في هذا العدد

العدد ٣٦ - يونيه ٢٠٢٦
السنة الرابعة





تعريف بالسادة كتاب هذا العدد

مجلة كل العرب
هلنا
العدد ٣٦ - يونيه ٢٠٢٦
تأسست يونيو 2023
السنة الرابعة



الأثري.عبدالله موسى لعشيبي
مدير الاثار بمطروح



د.سيد شعبان
كاتب روائي مصر - كلية دار العلوم



أ. ناجي بو المسمارية
عضو لجنة التراث بمطروح



الصحفي . حسني جرامون
صحفي مصري



د. خالد سليمان الزغيبي
استاذ فلسفة القانون جامعة بنغازي



شيخ الصحفيين . عيد وحيده
رئيس التحرير



د.م. إبراهيم شعبان
كبير مهندسي صناعة السفن وكاتب مصري



أ. فريحة المريمي
صحفية ليبية



أ.د. ابراهيم العايش
استاذ العلوم السياسية بجامعة سرت



أ.حِزَيِّن عمر
كاتب وشاعر وناقد ومؤلف مسرحي



م.محمود الفحام
شاعر وعضو اتحاد الكتاب



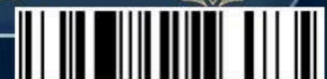












أرض الزيتون

في مطروح والصحراء الغربية



بقلم الأثري
عبد الله موسى لعشيبي

ماذا تعرف عن " التحنو " ؟



لقد انتشرت معاصر العنب والزيتون في أرجاء العالم القديم، حيث يُطحن الزيتون ليُستخرج منه «الذهب الأصفر» كما كان يُسمى منذ القدم. ويعود هذا العمل الزراعي الصناعي الإنساني إلى أكثر من خمسة آلاف سنة تقريبًا. وقد استُخدم زيت الزيتون في الغذاء والإنارة وصناعة الصابون، وفي الاحتفالات الدينية والاستطباب والأدوية، كما كان أحد المكونات الأساسية للغذاء في منطقة حوض البحر المتوسط.وخلال العصرين الروماني والبيزنطي، كانت معاصر الزيت تعد بالآلاف، وكان العديد من الفلاحين يمتلكون معاصر خاصة بهم، بجانب وجود معاصر ضخمة عامة مجهزة لعصر كميات كبيرة من الزيت.

للزيتون أهمية اقتصادية وحضارية ودينية كبرى، وكيف لا وقد أقسم اللّٰه به في محكم كتابه العزيز بقوله تعالى: **«وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ»**. وقد ارتبط الزيتون بأرض مصر منذ نشأة حضارتها، فقال تعالى في سورة المؤمنون: **{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ}**.



وتنوعت المعاصر في الحجم والشكل وطريقة العمل، وكذلك في مصدر الطاقة والقوة العاملة (إنسانية أو حيوانية). وكان أغلبها يعتمد على حجر واحد مجوف كالحوض في طحن الزيتون، وعلى حجرين في عملية العصر.

وتُعد صناعة الزيوت والنبيذ من أهم الصناعات في العصرين اليوناني والروماني، وكانت تشكل موردًا ماليًا رئيسيًا للدولة.

- قوانين عصر الزيتون وعمل المعاصر

أما البطالمة الأوائل في مصر، فقد قاموا بتوسيع مساحة الأراضي الزراعية، وخصصوا جزءًا كبيرًا من الأراضي المستصلحة لزراعة النباتات الزيتية وعلى رأسها الزيتون. لذلك أصبحت مصر مصدرًا مهمًا لإنتاج الزيوت. وخلال العصر اليوناني، أصبحت صناعة زيت الزيتون — التي كانت تباشرها المعابد وبعض المصانع الأهلية الصغيرة سابقًا — تحت سيطرة الدولة، حيث احتكرت الدولة البطلمية صناعة الزيوت.

وقد نظّم القانون الخاص بالزيوت كيفية التصرف في الناتج من النباتات الزيتية، والجهات المسؤولة عن عصرها، ومدى الرقابة على المعاصر والعاملين فيها. وكانت اللوائح الخاصة بصناعة الزيوت تقوم على ثلاث قواعد رئيسية:

1. ألا يستخرج أحد الزيوت خفيةً.
2. أن تنتج المصانع أكبر كمية ممكنة من الزيت.
3. أن تتوافر الأيدي العاملة اللازمة لعمليات العصر والاستخلاص.

كما كانت الدولة تمد المزارعين بالبذور. وقد وضعت هذه اللوائح لضمان نجاح الاحتكار وبيع الزيت. وكانت الدولة البطلمية تستخدم وسطاء يُسمون «الملتزمين»، الذين يشترون حق إنتاج الزيت في المدن المصرية عبر مزاد علني يُعقد سنويًا في كل مدينة على حدة. وكان الملتزم يتابع الصناعة من مرحلة الزراعة والنضج حتى استخلاص الزيت، تحت رقابة موظفي الدولة.

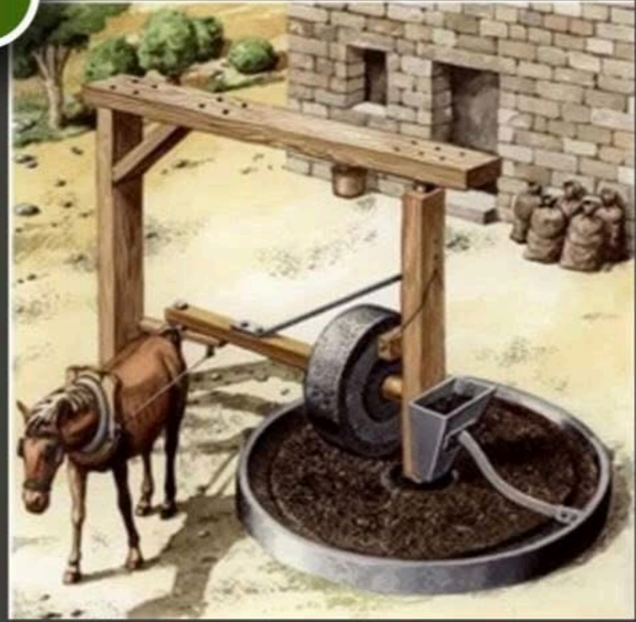
وفي العصر الروماني، لم تكن توجد بساتين مخصصة بالكامل لزراعة الزيتون، بل كان يُزرع بجوار النخيل والتين وغيرهما. وقد امتلكت الدولة مصانع للزيوت دون فرض قيود على زراعة النباتات الزيتية، واكتفت بفرض الضرائب عليها.

وتعددت استخدامات زيت الزيتون في تلك الفترة؛ فقد كان الزيت المفضل للطبخ عند اليونانيين، وأُدخل في تحضير المراهم العطرية، واستخدمه الكهنة في الطقوس الدينية والعلاجية مثل علاج الكبد والإمساك وطرد الديدان ومعالجة الحروق والتقرحات. كما استُخدمت زهور الزيتون في صناعة العطور. واستُخدم الزيت أيضًا وقودًا للإضاءة، وفي تدليك أجسام الرياضيين لإبراز جمال أجسامهم. وكانوا يستخدمون مكشطة خاصة لإزالة الزيت بعد المسابقات، ويحتفظ متحف الفاتيكان بتمثال لرياضي يحمل المكشطة بيده اليسرى. كما كان اليونانيون والرومان يدهنون أجسامهم بزيت الزيتون بعد الحمامات البخارية لحمايتها من البرد.

ارتباط الزيتون بالمعبودات

اعتُبرت شجرة الزيتون من النباتات المهمة التي ترمز إلى الوفرة والسلام. فوفقًا لإحدى الأساطير اليونانية، أعلن زيوس مسابقة بين المعبودين، على أن يكون المعبود الذي يقدم أكثر الهدايا قيمة للبشرية وصيًا على المدينة التي سيبنيها. فضربت المعبودة أثينا الصخر برمحها فأنبتت شجرة الزيتون ووهبتها للبشر، فأقر المعبودون لها بالنصر، وأُطلق على المدينة اسمها. ومنذ ذلك الحين أصبحت الشجرة مقدسة وتُزرع في حدائق المعابد وفي جميع مدن اليونان والمناطق المجاورة.

وعندما نعود أبعد في الزمن، نجد نقوشًا ومقتنيات أثرية تعود إلى ما قبل الأسرات وما بعدها، تُشير إلى الصحراء الغربية وشرق ليبيا بـ«أرض الزيتون»، وقد نُقش «زيت أرض التحنو». وكان المصريون القدماء يطلقون على زيت الزيتون اسم «زيت التحنو».



وتزداد الأدلة على قدم الزيتون وزيته في صحراء مطروح من خلال الاكتشافات الحديثة التي تشير إلى وجود بقايا مستعمرة للزيتون تعود إلى نحو 100 ألف سنة.

• أرض الزيت

حاول الباحث **ستيجر** إثباتٍ أن الزيتون وزيته كان معروفًا في مصر طوال تاريخ الأسرات. واستند في ذلك إلى أن زيت الزيتون كان يُورد إلى مصر من الصحراء الغربية وليبيا منذ بداية التاريخ الفرعوني. وقد ظهرت أشجار الزيتون على لوحة الغنائم الليبية (صلاية الحصون والغنائم) التي تعود إلى عصر الأسرة صفر، حيث عرف المصريون الكلمة الأصلية لزيت الزيتون قبل دخول الكلمة السامية بفترة طويلة.

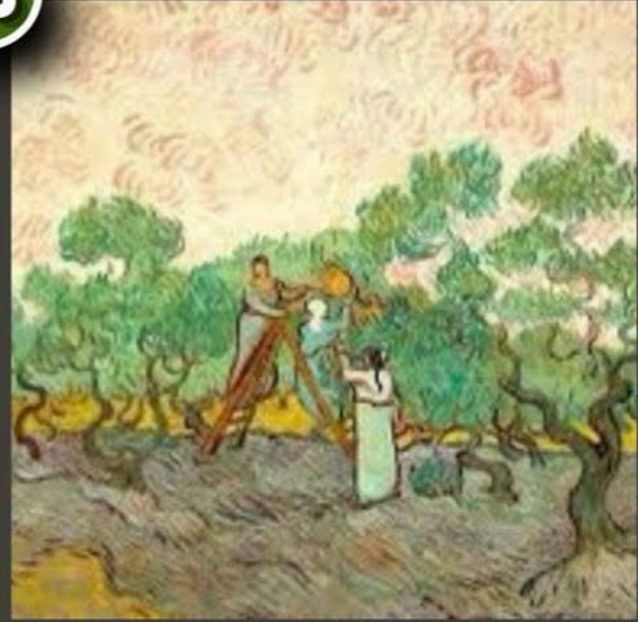
كما وردت الكلمة في نصوص الأهرام.

وفي مقبرة **حسي رع** وردت كلمة مصرية عامة لعدة أنواع من زيوت أرض ليبيا. وفي الدولة القديمة كان يُسمى في قوائم القرابين «زيت التحنو» وهو أجود أنواع الزيت، وأحيانًا «الزيت الليبي». وعُثر على بطاقات جرار زيت من الأسرة الأولى في أبيدوس سمي فيها الزيت «ها» والفرع «جحا»، مما يدل على أنه من الشجر.

• عصر الزيتون

- **براعة اليونانيين والرومان في زراعة الزيتون وعصره بشمال إفريقيا**

أثبتت الدراسات أن الإغريق كانوا يغرسون في حقول الزيتون أشجار التين بنسبة أربعة أشجار تين مقابل كل شجرة زيتون. وبعد البحث تبين أنهم كانوا يشكلون مبيدًا طبيعيًا لذبابة الزيتون، إذ يتزامن موسم تكاثر الذبابة مع نضج ثمار التين، فيجذب عسل التين الذبابة، لكنه في الوقت نفسه يُعد مبيدًا فعالاً لها.



في نهاية عام 1889م، رسم الفنان الهولندي فينسنت فان جوخ ثلاث نسخ من لوحة «قطاف الزيتون». وصف الأولى بأنها دراسة للطبيعة، والثانية بنسخة مرسمة بألوان رصينة، أما الثالثة فكانت الأكثر دقة وأسلوبية، فأهداها لأخته ووالدته. وقد أظهرت اللوحات نساء يقطفن الزيتون، وهي واحدة من 15 لوحة على الأقل رسمها عن بساتين الزيتون قبل عام واحد من وفاته أثناء إقامته الطوعية في مصحة سان ريمي ببروفانس الفرنسية. كان فان جوخ مفتونا بأغصان الزيتون المتشابكة والملتوية، إذ كانت في نظره تجسد القوة والألم والبقاء، بالإضافة إلى ارتباطها الديني بمعاناة السيد المسيح في جبل الزيتون.

• زيتون واحة سيوة

تُعد «عزبة السنوسي» أقدم الزوايا السنوسية بواحة سيوة، وتحتوي على إحدى أقدم المعاصر. وتُعتبر سيوة من أقدم واحات مصر، وتوجد بها معاصر زيتون تعود إلى العصر اليوناني الروماني في مناطق سلام وأبو شروف وشالي غادي وعزبة السنوسي، ويبلغ عددها عشرات بل مئات المعاصر، وتُعد من أضخم ما عرفه القدماء. وقدرت الطاقة الإنتاجية للمعصرة الواحدة بعشرة آلاف لتر أو كيلوغرام من الزيت في سنوات الوفرة.



OIL-MILL AT AGHORMI

• أمثال شعبية عن الزيت والزيتون

قيل في الزيتون العديد من الأمثال والمأثورات الشعبية، ومنها:

1. اللي أمه بالبيت بياكل خبز وزيت.
2. كل زيت وناطح الحيط.
3. الخبز والزيت سبعين في البيت.
4. الزيت مسامير الركب.
5. خلي الزيت بجراره حتى تجي أسعاره.
6. ما حد بيقول عن زيته عكر.
7. تقول شجرة الزيتون: إبعد أختي عني وخذ زيتها مني.
8. سيل الزيتون من سيل كانون.
9. وأيام الزيت أصبحت وأمسيت.
10. في أيلول بيدور الزيت بالزيتون.
11. الزيات ببين من ثيابه.
12. الزيت الطيب من الشجر للحجر.
13. بأيام الزيت بالكاد المرأة تطبخ وتكنس البيت.
14. إن حضر القمح والزيت إتسوجرت مونة البيت.
15. إذا عندي طحين وزيت صفقت وغنيت.
16. شجرة الزيتون مثل ما بدك منها بدها منك.
17. الزيت عامود البيت.
18. أخضر الزيتون ولا يابس الحطب.
19. الزيتون زيته طيب بس لقاظه بشيب.
20. الزيت بالعجين ما بيضيع.
21. كل زيت على الريق بتصير أوتوماتيك.
22. عليك بمسبح السقي ومرصوع البعل.
23. ما بيطلع الزيت إلا من كثر العصر.
24. زيتنا في طحيننا.
25. الزيتون النبالي زيته سيال ولقاظه بهذي البال.
26. اقعد ببيتك وغمس خبزك بزيتك.



• تمييز زيت الزيتون عبر الطعم

يختلف طعم زيت الزيتون حسب صنف الزيتون ودرجة نضجه ولون الثمرة ومكان الزراعة والظروف البيئية وطريقة العصر (بارد أو حار). ومن أبرز مقاييس الجودة: المرارة والحرقة.

تعود المرارة إلى استخلاص الزيت من الثمار الخضراء غير الناضجة، مما يعطي زيتًا نقيًا عالي الجودة لكنه مر الطعم. أما الحرقة في الحلق فتنتج عن مركبات كيميائية مفيدة جدًا في الأنواع عالية الجودة. ولاختبار الزيت: ضعه في فمك 30 ثانية ثم ابلعه، فإذا شعرت بحرقة فهو زيت جديد ممتاز. وتزداد شدة الحرقة كلما كان القطف مبكرًا.



• ذكر الزيتون ومعاصره في كتب الرحالة والمؤرخين

ذكر تقي الدين المقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» وصفًا لواحة سيوة قائلًا: «وسنتريه الآن بلد صغيرة يمكنه نحو ستمائة رجل من البربر يعرفون سيوة ولغتهم تعرف بالسيوية، وتقرب من لغة زناتة وبها حدائق نخيل وأشجار زيتون وتين، وبها الآن نحو عشرين عينا تسبح بماء عذب».

وفي مذكرات المستكشف الفرنسي جان ريمون (مطروح - القصر 1824م) ورد قوله: «لاحظت وجود أحواض صغيرة قديمة منحوتة في الصخر لجمع مياه المطر.. ومحفورة في أماكن غير متساوية في ارتفاعها بطريقة تجعل الحوض العلوي يملأ السفلي (العقارة)، كما شاهدت أطلالًا قديمة لمعاصر الزيتون وصهاريج لحفظ المياه».

أما الحاكم الإداري لمطروح السير تشارلز بليجريف، فقد قال في مذكراته عام 1920م: «على بعد حوالي 20 ميلاً شرق الواحة عند أحد أطراف بحيرة مالحة، توجد قرية (الزيتون).. وعلى مقربة منها مجموعة من المزارع، التي هي أجود وأفضل مزارع الواحة إنتاجًا للزيتون، والذي يطلق على المكان اسمه. يوجد في الواحة بأكملها حوالي 40.000 شجرة زيتون مثمرة، ويتم تصنيع كمية كبيرة من زيت الزيتون محليًا، لكن يستخدم السكان معاصر خشبية عتيقة وبدائية للغاية...».



• المصادر

- تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
- مذكرات المستكشف الفرنسي جان ريمون (مطروح - القصر 1824م).
- مذكرات السير تشارلز بليجريف، الحاكم الإداري لمحافظة الصحراء الغربية.
- د. حمادة منسي عاشور: الزيتون وزيته في مصر القديمة بين المصادر اللغوية والأدلة الأثرية.





الراهب حنا

د.سيد شعبان

تراكمت السنوات على وجهه، فصارت خطوطًا ومنحنياتٍ تشبه دروب حارة المتاهة في كفر أبي ناعم، الذي يقبع خلف شريط القطار الواصل بين دسوق وقلين. بلادٌ يغطيها طوفان من الذباب والبعوض، والناس هنا تنام على وقع أقدام عساكر الإنجليز يتطوحون سكارى من خمارة الزغبي.

أهل الكفر يخافون منهم على أبقارهم ونسائهم؛ يضعون أحجارًا وراء الأبواب، ومتاريسَ وراء أخرى، وينامون بنصف عين. هؤلاء أشرارٌ ينتهبون كل شيء، ويعربدون في البندر، لا يحترمون مقام ولي الله الدسوقي. يُقال إنه مبارك، يحمي البلاد من شر هؤلاء المحتلين. سبعون عامًا وهو صامتٌ في مقامه العلوي.

يسكن الغجر حوله، يتباركون به، ويقتسمون نذوره. بعضهم يقسم أنه من آل البيت. النساءُ يبعن الفول النابت، والرجال يصبغون الحمير ويراقصون القرود. عند المقام حيلٌ وألاعيب، ولحومٌ من كل لونٍ تباع وتُشترى، وفي سكرة الليل: "مدد يا أهل المدد!"

لا شيء يتغير في كفر أبي ناعم. الجرس الكبير يقرع يوم الأحد في الكنيسة العتيقة. تقول رواية: جاء المسيح وأمه إلى الدلتا، مرَّ موكبُهم من هنا. بلادنا تحب العذراء وابنها. شجرة جميزٍ عملاقة تظلل تلك البناية العتيقة، وأسرابٌ من حمام تسكن برج الراهب حنّا. رجلٌ طيبٌ، انحنى ظهره، يتوكأ على عصاه، يعطي الفقراء كلَّ أحدٍ عظته، يصبرهم، ويرجو لهم مملكة السماء. تُسرق الأبقار ، والنساء في عربات قطار الدلتا يُسَقْنَ إلى البندر، وهو يتم ترانيمه وأوراده. منذ خمسين عامًا وهو ممسك بإنجيله. كم أنت طيبٌ أيها الراهب حنّا!

عنده زيتٌ ودهنٌ يداوي بهما المرضى، أما هو فمن يشفيه وقد انحنى ظهره كمنجل الحصاد؟

يقيم القداس حتى وإن لم يأتِ أحدٌ. ربما مرَّ واحدٌ من أهل الكفر - لا يهم إن كان مسلمًا - فيتبادل معه الحديث، ثم يحتسيان كوبَ الشاي. تبدو مسحةٌ من صفاءٍ وطيبةٍ في كفرٍ يعيش آلام الفقر وحياةَ الضنى.

يُقال إن الراهب حنّا عنده خزانةٌ مملوءة بالذهب. حين تتناهى إليه تلك الشائعة يضحك ملءَ فيه، ويداخله شعورٌ غريب، ربما يجده يومًا، فيبني مدرسةً ووحدةً صحية. لكن للجهلِ مخالبَ تعمي العيون وتعتلُّ منه الأجساد، ويسكن الفقرُ بيوتَ الكفر، ويخيمُ المرُّ على وجوه العابرين.

حين يخلو بنفسه تدور في رأسه خُبالاتٌ شتى: أن يترك أثرًا، للمرأة اشتهاءً ونعومةَ فراش. وهل حنّا إلا بشرٌ تجري داخله ألفُ رغبةٍ محمومةٍ، يتكتمها، لكنه دائمًا ما يعظ بلازمته التي عُرِف بها: "الرب يحب المتطهرين".
يبدو أنه يرجو عالمًا آخر. تطوفُ بالكفر بائعاتُ الهوى، يزرن الدوَّار الكبير، وبعضَ ليالٍ في بيوت سرية. الراهب حنّا لا يغلق بابه دائمًا.

تجري الذئاب وراء الدجاج في شوارع الكفر، والراهب وعظهم أن يدَعوا ذلك العالم بكلِّ شره. الأطفال يتألمون جوعًا، ونساء الكفر لا يُمشِّطن شعورهن الملبَّدة كفراءِ الشياة النحيلة.

يومًا كان يحلم بأنثى جميلة، لم يبح بذلك السرِّ لأحد. شعرُها وخصرُها، صدرُها تتعارك فيه رمانتان. حكايةٌ نسيها كفرُ أبي ناعم منذ زمن.

في مرةٍ داعبه الهوى، أخذ يشدو بأغاني الصبا؛ والهوى قدرٌ والمرأة هيامٌ. رسم وجهها على النافذة الزجاجية، فتتداخل مع صورة العذراء، كما تمنَّى أن تأتي ذاتَ الوجه المريمي. كاد العشق يفضحه، نسي أيامه معها. للراهب مكانته في عيون رعيته.

يختزن حكاياتٍ وراء أخرى، يعتاش عليها، يوقد ناره، يتبلّع الخبزَ ببعض حساء، ثم يكتب في كتابٍ عتيق. في كفر أبي ناعم كنزٌ لا يعرفه إلا من لديه دجاجةٌ تبيض بيضةً أشبه بكرةٍ، يخرج منها فرخٌ له ثلاثةُ أرجل!

يطول ليل الراهب في أوراده، يأتي شتاءٌ وصيفٌ وهو في مكانه. الأحدُ موعدُ عظته التي لا تتغير: "المملكة في السماء". ينادي الصغارُ في تذلُّل: "ولكننا نحتاج كساءً، أبقارنا بلا لبن".

يمسح على رؤوسهم، ثم يدهن أجسادهم بالزيت المبارك. شيء واحد جعله لا ينام: متى سيخرج الديك من البيضة المكورة وتكون له ثلاثةُ أرجلٍ؟

أمرٌ محيِّرٌ بالفعل. في أية جهة ستكون الرجل الثالثة؟ عجيبٌ أن تكون تحت رقبته، لا، ربما تكون أعلى ظهره. ستنسى الناسُ آلامَهم حين يأتي الديك.

لكن خيولَ المحتل تضرب الأرض، وتعوي الذئابُ في كفر أبي ناعم. مقامُ الدسوقي صامتٌ، والراهب حنّا في عظته يعيش في مملكة السماء. الناسُ لا تجد سراويلَ ولا كسراتِ خبزٍ، وللصبر علةٌ لا يبرأ منها الضعفاء. تنوح السواقي على ماءٍ مغموسٍ بسياط القهر. كلُّ حاجةٍ في أبي ناعم تسير في سكةِ عكس الاتجاه.

جاءه هاتفٌ غريبٌ: "عند المقام حجرةٌ كبيرةٌ تحتها مفتاحٌ منقوشٌ عليه رسمٌ. خُذه واذبح فوقه نملةً بيضاء يتيمةً، لفَّها في صُرَّةٍ، وفي قنِّ الدجاج الذي يطعم فراخَه في كيمانِ أبي ناعم ضعْها تحت دجاجةٍ عاقر!"

ركب قطارَ الدلتا، وجاء بجرابه الذي كان يكتب فيه أجمل حكاياته. لفَّ ودار حول مقام الدسوقي. حين رآه الغجرُ يفعل هذا أشاعوا في البندر أن الراهب حنّا صار واحدًا منهم. ابتسم في وقار، جاءوا إليه بثيابٍ بيضٍ وحصانٍ أشهبَ، رشُّوه بالملحِ سبعَ مراتٍ، علا هتافهم. والراهبُ في تبتُّلٍ يتمتم أوراده. تسكن قريبًا من المقام الجِدةُ عارفةُ، تبلغ من العمر مائةَ عامٍ، صاحت فيهم: "انصرفوا، فله سرٌّ ومكانٌ".

مالت على أذنه: "سرق المفتاحَ لصٌّ منذ يومين، حاولتُ أن أمنعه، أعطاني لفافةً فيها رسالةٌ لك: النملةُ اليتيمةُ ماتت منذ أسبوعٍ، لن يُعطى المفتاحُ لمن يسكنُ في مملكةِ السماء. يومًا ما ستنبت نخلةٌ مباركةٌ جوار مقام ولي الله الدسوقي عند رصيف السفن القادمة من رشيد، تحمل القادمين من بحر الروم. لا أدري متى يأتون؟"

عاد الراهبُ إلى عظاته يتمتم: "وكيف يخرج الفرخُ ذو الثلاثة أرجل؟". في عظته الأخيرة ذكرهم بما رآه، وأن المملكةَ يومًا ستكونُ في كفر أبي ناعم.



تراث البادية

أ. ناجي بو المسمارية

حمامات عقلي مالمواجع طارن
مابن علي برج الخراب يردن



حمامات عقلي مالمواجع طارن ••
مابن علي برج الخراب يردن ••

قصيدة من أجمل معلقات الشعر البدوي، يقال إنها قيلت سنة 1902، ونسج على منوالها كثير من الشعراء، وقد نسبت للشاعر خليل الشويعر من بادية مصر. وقد ذهب مغاضباً من أخيه إلى منطقة الجبل الأخضر بليبيا واستقر هناك. وعندما أرسل إليه أخوه بعض أصدقائه ليعودوا به إلى مصر وليصفح عنه، رد عليه بقصيدة طويلة لم يبقَ منها إلا أبيات قليلة، يقول مطلعها:

عروق المحنّه م الجفا ينسدَّنْ ••
والسيات من الصاحب بعيد يودَّنْ ••
كثر الجفا يبريهن -
و بالصبر قادر ربنا يشفيهن -
والعيون ما يبكن على جافيهن -
موالفات عزة نفس ما يجدَّنْ ••

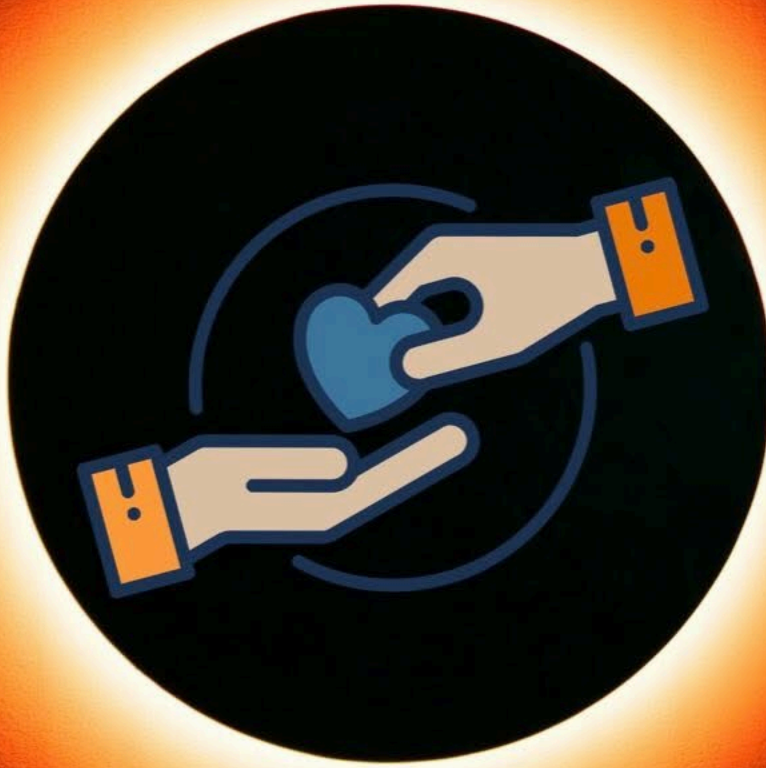
معاهدات صاحب عقل ومعاطيهن -
وين ما نقص دون المسافه ردَّنْ ..
وين ما نقص دون المسافه باتن -
عروق المحبه مالمواجع ماتن -
كان الرفق باقدار أيام و فاتن -
والأيام من بعد الشرود ينذَّنْ ..

ومن قال سيات الحبيب إيواتن -
حتى الجواهر في التراب إيصدَّنْ ..
عروق المحبه صبَّنْ ..
كانن امغيرٍ يَفْرَغَنْ ويعبَّنْ ..
والعيون ميالاتٍ كان هنَّ حبَّنْ ..
وان راعن علامات الجفا ينحدَّنْ ..

عروق المحنّه غارن -
لاعد جرن كي قبل لاعاد سارن -
حمامات عقلي مالمواجع طارن -
ما بن علي برج الخراب يردَّنْ ..

في الصميم

حسني جرامون





الصدقة في زمن الغلاء

الغلاءُ يجعلُ الجميعَ متمسكينَ بالقرشِ بأيديهم وأسنانهم، ولسانُ حالِهم: "أنا محتاجٌ، والعيالُ أولى، وبكرة محدش ضامن". طبيعيٌّ، ولكنْ هنا بالضبط تتبينُ القيمةُ الحقيقيةُ للصدقة، ويتضاعفُ أجرُها.

لِمَ الصدقةُ في الغلاءِ أجرُها مختلف؟

سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجرًا؟ قال: «أن تتصدقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ، تخشى الفقرَ وتأملُ الغنى». يعني وأنت خائفٌ على فلوسك، وحاسّ إنها بالكاد تكفيك. فجنيهاً تخرجه وأنت مُزنَّقٌ أثقلُ في الميزان من مئةِ جنيه تخرجها وأنت مرتاح.

في الرخاءِ الكلُّ كريمٌ، أما في الغلاءِ فيتبينُ الصادقُ في عطائه. ولهذا قال الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، والخصاصةُ: شدةُ الحاجة.

الغلاءُ ليس عذرًا، بل هو فرصةٌ. البركةُ تظهرُ: مئةُ جنيه تتصدقُ بها وأنت محتاج، ربنا يباركُ في التسعمئةِ الباقية، فتشتري بها ما كانتِ الألفُ كلها لا تكفيه. هذه هي معادلةُ الغلاءِ.

دفعُ البلاءِ: صنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ، والغلاءُ نفسه بلاءٌ. الصدقةُ مَصَدَّةٌ تردُّ عنك وعن عيالك أذىً كثيرًا لا تراه. ما تفعله يلفُّ ويرجعُ إليك. الفقيرُ الذي ساعدته اليومَ هو الزبونُ الذي سيشتري منك غدًا، أو العاملُ الذي سيعمل بضميرٍ في مصنعك. الاقتصادُ دائرةٌ، والصدقةُ زيتٌ يجعلُ الدائرةَ تسير.

أتصدَّقُ كيف وأنا بالكاد أكفي بيتي؟

الصدقةُ في الغلاءِ ليست بالضرورة فلوسًا كثيرةً، بل الفكرةُ في المُداومةِ والنيّةِ.

· فُكَّ شفرةَ العشرةِ جنيهات: ثبّت مبلغًا بسيطًا يوميًّا أو أسبوعيًّا. عشرةُ جنيهات كلَّ جمعةٍ لن تهزَّ ميزانيتك، لكنها في آخر السنة تعني 520 جنيهًا. ولو أن ألفَ شخصٍ فعلوا ذلك، صار معكم نصفُ مليونٍ جبرتُم به خواطرَ أسرٍ كاملةٍ.

· الصدقةُ الذكيةُ: بدلًا من أن تعطيِ فلوسًا تُصرف، اشترِ بها أصلًا للفقير: كيلو رزٍّ، زجاجةَ زيتٍ، أو ادفع جزءًا من روشتةٍ. في الغلاءِ، السلعُ أضمنُ من الفلوسِ التي تقلُّ قيمتُها.

· صدقةُ الوقتِ والجهدِ: ما معاك فلوس؟ معاك صحةٌ. أوصلْ حدًّا بسيارتك، صلحْ سباكةَ لجارتك الأرملةِ ببلاش، ذاكرْ لابنِ البوَّابِ. قال النبيُّ ﷺ: «كلُّ سُلامَى من الناسِ عليه صدقةٌ». وصحتك ببلاش.

· ابدأ بدائرتك الضيقة: الأقربون أولى بالمعروف. أختُك المطلقةُ، أخوك الذي عليه ديونٌ، جارُك الذي انفصل من عمله. الصدقةُ على القريبِ صدقةٌ وصلةُ رحمٍ، أجرانِ في واحدٍ.

· إياك والوقوع في الفخ (المنُّ والأذى): في الغلاءِ النفوسُ مكسورةٌ وحدها. لو هتتصدقَ وتعايرَ، أو تصوِّرَ، أو تحسِّسَ الذي أمامك إنه قليلٌ، يبقى بلاها. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}. كلمةُ "ربنا يوسع عليك" مع عشرين جنيهًا أحسنُ من مئتَي جنيهٍ مع نظرةِ شفقةٍ.

الغلاءُ يختبرُ يقينَك: هل أنت مؤمنٌ أن الرازقَ هو اللّه، أم أنت خائفٌ من الفقر؟ الذي يُقفلُ على فلوسه وقتَ الأزمةِ خوفًا من الفقرِ، الفقرُ يلاحِقه. والذي يفتحُ يدَه وهو مُزنَّقٌ توكُّلًا على اللّه، ربنا يفتحُ عليه من حيث لا يحتسب. سيدنا أبو بكر أخرج فلوسه كلها، فسأله النبيُّ: «ماذا أبقيتَ لأهلك؟» قال: أبقيتُ لهم اللّهَ ورسولَه. ما حدش طالب منك تطلع فلوسك كلها، لكن اطلعْ وأنت متأكد إن الذي يرزقك ليس مرتبك ولا تجارتك، بل هو الذي أمرك بالصدقة سبحانه.

اسمعوا معي هذه القصة:

كان الليثُ بنُ سعدٍ يتاجرُ في العسلِ. ويومًا رستْ سفينةٌ له محمَّلةٌ بالعسلِ المعبَّأِ في براميلَ، فأتته سيدةٌ عجوزٌ تحملُ وعاءً صغيرًا وقالت: أريد منك أن تملأَ هذا الوعاءَ عسلًا لي. فرفضَ، فذهبتِ السيدةُ. ثم أمر الليثُ مساعدَه أن يعرفَ عنوانَ تلك السيدةِ ويأخذَ لها برميلًا كاملًا من العسلِ. فاستعجبَ الرجلُ وقال: طلبتْ كميةً صغيرةً فرفضتَ، وها أنت الآن تعطيها برميلًا

كاملًا؟ فردَّ الليثُ: يا فتى، هي تطلبُ على قدرِها، وأنا أعطيها على قَدَري.

لو علم المُتصدِّقُ حقَّ العلمِ وتصوَّر أن صدقتَه تقعُ في يدِ اللهِ قبل يدِ الفقيرِ، لكانت لذةُ المُعطي أكبرَ من لذةِ الأخذ.

اسمعوا أيها المتصدقونَ ومن يعملون لإيصال الصدقة:

1. الصدقةُ بابٌ من أبوابِ الجنةِ.
2. الصدقةُ أفضلُ الأعمالِ الصالحاتِ، وأفضلُ الصدقةِ إطعامُ الطعامِ.
3. الصدقةُ تظلُّ صاحبَها يومَ القيامةِ وتُفكُّه من النارِ.
4. الصدقةُ تُطفئُ غضبَ الربِّ وحَرَّ القبورِ.
5. الصدقةُ خيرُ ما يُهدى للميتِ، وأنفعُ ما يكونُ له، ويُربِّيها اللهُ عزَّ وجلَّ.
6. الصدقةُ تطهيرٌ وتزكيةٌ للنفسِ، ومضاعفةٌ للحسناتِ.
7. الصدقةُ سببُ سرورِ المُتصدِّقِ.
8. الصدقةُ أمانٌ من الخوفِ يومَ الفزعِ الأكبرِ، وعدمُ الحزنِ على ما فات.
9. الصدقةُ سببٌ لمغفرةِ الذنوبِ وتكفيرِ السيئاتِ.
10. الصدقةُ من المُبشِّراتِ بحسنِ الخاتمةِ، وسببٌ لدعاءِ الملائكةِ.
11. المُتصدِّقُ من خيارِ الناسِ، والصدقةُ ثوابُها لكلِّ من شارك فيها.
12. صاحبُ الصدقةِ موعودٌ بالخيرِ الجزيلِ والأجرِ الكبيرِ.
13. المُنفِقونَ من صفاتِ المتقينَ، والصدقةُ سببٌ لمحبةِ عبادِ اللهِ للمُتصدِّقِ.
14. الصدقةُ أمارةٌ من أماراتِ الجودِ، وعلامةٌ من علاماتِ الكرمِ والسخاءِ.
15. الصدقةُ سببٌ في استجابةِ الدعوةِ وكشفِ الكُربةِ.
16. الصدقةُ تدفعُ البلاءَ، وتَسُدُّ سبعين بابًا من السوءِ في الدنيا.
17. الصدقةُ تزيدُ في العمرِ والمالِ، وهي سببٌ في الرزقِ والنصرِ.
18. الصدقةُ علاجٌ ودواءٌ وشفاءٌ.
19. الصدقةُ تمنعُ الحرقَ والغرقَ والسرقةَ، وتمنعُ ميتةَ السوءِ.
20. الصدقةُ أجرُها ثابتٌ ولو كانت على البهائمِ أو الطيورِ.

فنان الزمن الجميل

سويد لعشيبي





د. خالد الزغيبي





في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، برز في الإسكندرية صوت لم يأتِ من استوديوهات المدينة الصاخبة، بل من كثبان سيدي بشر الرملية التي كانت تتسلسل إلى أن تصل في قمتها إلى مقام سيدي بشر المتكئ على ربوة عالية مقابل الشاطئ. كان ذلك الصوت هو صوت السيد عطية العشيبي، الذي عُرِف بسويد العشيبي، ذلك البدوي الذي حمل بدويته في حلقه كأنها آخر ما تبقى من قبائل تركت الصحراء وجاءت تسكن ضفاف البحر.

لم تكن بدويتهم متصنعة، ولم تكن لهجتهم البدوية مثقوبة بأي شذوذ لغوي، فقد نشأوا في بيئة حافظت على نقاء الكلمة كما يحافظ البدوي على عرضه وأرضه.

كنت أرى تلك المنطقة في صغري كأنها صحراء مصغَّرة، مرصَّعة بالكثبان الرملية الصغيرة التي تتسلق بعضها فوق بعض لتصل إلى قمة ارتفاعها حيث المقام.

كان المشهد بديعًا: البحر من جهة، والرمال من جهة، وبيوت العرب التي تنصبها القبائل المنتشرة هناك، كل قبيلة تحافظ على هويتها وأعرافها وقيمها التي جاءت بها من عمق الصحراء، وهم جميعًا في حالة موزاييكية نادرة. كانت سيدي بشر في ذلك الزمن أشبه بجزيرة بدوية عائمة على شاطئ المدينة، تحتفظ بأنفاسها الصحراوية رغم رذاذ البحر المالح، في إطار من المسميات المناطقية البدوية (المحمرة، اللوينة، دربالة).

وما إن يحل عرس أو مناسبة، حتى تمتد الأفراح لأيام وأسابيع، وربما إلى شهر كامل، يظل فيها شباب البدو يتسامرون ويتساجلون شعرًا وأهازيج. كانت السهراية حاضرة، والصابية تؤكد وحدة الصف والتراث، وفي ختام تلك الأيام يأتي يوم الفرح الرسمي الذي يُزيَّن بالأهازيج والزغاريد.
في تلك الأجواء نشأ سويد العشيبي كغصن ينبت في تربة خصبة، فقد امتص الشعر والغناء مع هواء سيدي بشر الأول. لم يفُت سويد مناسبة بدوية أينما كانت،

سواء في منطقته أو في المناطق المحيطة، بل كان شغوفا كمن يبحث عن كنز.

كانت البدايات الصغرى تحمل في طياتها بوادر فنان عظيم، فكما يفعل الشباب في بدايات عشقهم للسماء المرصعة بوجوه أحبتهم، ناجى سويد النجوم برقة المحب المشتاق، فقال بتلك القامة البدوية: (يا نجوم الليل يا سهرانة). ولم ينس غزاله الذي شغل فؤاده، فغنّى له بلهفة العاشق: (يا غزالي يا متكحل)، ثم أضاف (ريت اليوم غزال)، كأنه كان يرسم أحلام كل شاب بدوي وينوب عنهم في توزيع تلك الأحلام على مفردات البيئة الغنية، حيث النخل والكثيب والقمر والغزال والنجم والجبل.

تأملت يومها مغزى تلك الكلمات، فوجدت أن سويد لم يكن يغني فقط، بل كان يترجم روح البدوي التي ترى كل ما في الحبيب حلوًا. ولذلك غنّى ببساطة مدهشة: (حلو يا حلو يا بو لسان حلو). إنها البساطة البدوية التي لا تعرف التعقيد، ولا تحتاج إلى براعة لفظية مكلَّفة، فالجمال عنده كان قائمًا على حافة الصدق لا على بريق الصنعة.

كان القمر حاضرًا في حسابات سويد، لكنه كان يخاف أن يلومه، فغنّى له بخشوع النديم: (يا مجاور نجوم الليل يا قمر يا عالي). وكأن القمر كان صديقًا حميمًا يراقب سهرات العشاق في تلك الليالي البدوية المقمرة، حيث لا إنارة كهربائية ولا أضواء مدينة، فقط ضوء القمر والنجوم والعيون السامرة على نار الشوق والحنين.

وأذكر أن الغائب كان له حضور دائم في أغاني سويد، فالبدوي بطبيعته يعشق البُعد كالغيمة التي تظل حافية في السماء تنتظر رياحًا تأتي بها إلى الديار. وكان سويد ينتظر رسالة حبيبته كما ينتظر المسافر المطر، وحين تأتيه الرسالة التي ينتظرها كان يغني منتشيًا منتصرًا: (جانا جواب اليوم من غالينا). لقد كان هذا الجواب رمزًا للوصل بعد الهجر، وللبشرى بعد طول انتظار.

أما الكرم والزيتون، فهما الرفيقان الأساسيان في حياة البدوي: الأول رمز الجود والعطاء، والثاني رمز الخصوبة والبركة. وضع سويد قلبه بين الكرمة والزيتون، وغنّى بتلك الحالة النوستالجية التي لا تنتج إلا عن قلب صادق: (بين الكرمة والزيتون). لقد حلّق بنا هناك، في فضاءات بدوية خيالية تجمع ظلال الأشجار ونسمات البحر ورائحة طين برقة الغائبة الحاضرة.

ولم ينس سويد البحر رفيق عمره، كصحبته التي رافقته والتي لا تشبه غيرها، فناجاه: (يا مواج عالي يا بحر يا نسمة). كان البحر قريبًا منه في سيدي بشر، يراه كل يوم، يتأمل أمواجه العالية كما يتأمل أحلامه التي لا تستقر. والبحر في ثقافة البدوي رمز للمجهول، للمدى البعيد، للسفر والأسفار، ولأن البدوي أينما حل ارتحل، فهو يتقن مخاطبة كل ما هو متحرك، كل ما هو عابر، كل ما يحمل في طياته نكهة الغياب والحضور معًا.

لكن الغريب والمذهل في آن واحد، أن سويد لم يقف عند حدود البحر الذي يراه بعينيه، بل تعداه إلى بحر آخر يبعده عنه أكثر من ألف كيلومتر، إلى بحر بنغازي الذي لعله لم يطأه بقدميه إلا مرات قليلة، لكنه سكن قلبه كما يسكن الحبيب في أعماق العاشقين. لقد غنّى سويد لبحر بنغازي وبحرها الذي يبعده عنا ألف كيلو ويزيد، ليذكرنا بأهلينا الذين باعدت بيننا وبينهم المسافات وظروف الحياة التي لا ترحم، فقال بتلك اللهجة البدوية الشجية، تلك اللهجة التي تأخذ بالأكباد إلى حيث لا تذهب الألحان: (يا ما فيه بحر بنغازي ياما فيه، طراوة وكورنيش محليه).

في تلك الكلمات البسيطة كان يكمن حزن البحر الأبيض المتوسط كله، كان يكمن شوق كل مغترب ترك خلفه أهله وماله وعمره، وجاء إلى الإسكندرية يبحث عن رزق أو أمان، فإذا به يجد في صوت بدوي بسيط ما يربطه بذاكرته الأولى، برائحة طين برقة حين يعانقه قطرات المطر الشبيهة بقبلات الأم الأولى.

وكأن سويد كان يعرف أن قلوبنا لا تقوى على مفارقة الوطن، وأن الجبال تبقى في الذاكرة أطول من كل شيء، فلم يترك جبلنا الأخضر يغيب عن مخيلتنا نحن المهاجرين عن أوطاننا. كنا في الإسكندرية نستحضر ذلك الجبل الأخضر في خيالنا، نتذكر صباحاته الضبابية، ومساءاته العابقة برائحة الزعتر وإكليل الجبل، حيث يقتلنا الحنين ويزيدنا عشقًا يقطع فيافي الأضلاع قبل أن يصل إلى الحلق. وهنا، في تلك اللحظة التي كان يحتاج فيها القلب إلى دواء، جاء سويد ليقول ما كنا نتمتم به في سرنا، ليقول ما عجزت عنه حروفنا، فغنّى بصوت حزين شجٍ: (اللي شاغلين العقل قبلي المرجٍ في أوهام تاكنس). نعم، لقد حدد لنا سويد الإحداثيات الدقيقة لأحلامنا: جبلنا الأخضر، المرج، تاكنس، تلك الأسماء التي كانت تسكننا كما يسكن الروح الجسد.

ولم يقف سويد عند هذا الحد، فذاكرته كانت أشبه بخارطة نادرة لا تسقط منها التفاصيل الصغيرة التي هي في الحقيقة كبيرة. فمن أعماق الجبل الأخضر، حيث تنبت الحياة من بين الصخور، حيث تتفجر الأرض عطاءً وتنبع عذوبة، غنّى سويد متذكرًا عيون الماء التي لا تزال تسيل من أعالي جبالنا منذ الأزل. تلك العيون التي كانت ملاذ القبائل وموئل العطشى وبهجة القلوب. تنهد سويد ذات مرة، وغنّى بصوت يقطر حنينًا: (عيوني علي غياب شلال)، كأنه كان يصف دموعه التي تترقرق على ذكرى تلك الجبال، ثم استرسل مغنيًا: (كيف عين مارة فالجبل). نعم، عين مارة، تلك العين التي تقع بين درنة والقبة، في قلب الجبل الأخضر، عين لا تزال ذكراها تسيل في حلق من عرفها وذاق من مائها البارد العذب. لقد جعل سويد من (عين مارة) أيقونة لكل عيون الجبل، رمزًا للصفاء والنقاء والحياة التي لا تنضب. فكما كانت تلك العين تمنح الماء للمارة والمسافرين والعابرين، كانت أغاني سويد تمنح الروح لأجيال بأكملها، كانت تروي ظمأ القلوب قبل الأجساد.

لم يكن سويد مجرد مطرب بدوي، بل كان رسام خرائط للقلوب، يحدد لنا مواقع بلادنا التي ترنو إليها قلوبنا وخواطرنا، تلك البلاد التي لا نراها إلا بالعين

التي تبصر ما وراء المسافات، تلك العيون التي تتدفق في الجبال كما تتدفق الذكرى في صدور العاشقين.
انتشرت أغاني وقصائد سويد بين الشباب البدو انتشار النار في الهشيم خلال السبعينيات والثمانينيات، فلم يكن هناك شاب بدوي في الإسكندرية أو في المناطق المجاورة إلا ويتمتم بكلمات سويد وهو يسقي حلمه أو يمشي على الرمال أو يجلس تحت ضوء القمر أو يحدق في البحر صوب الغرب حيث بنغازي والجبل الأخضر وعين مارة.
شارك سويد العشيبي العديدَ من الفنانين المعاصرين له في حفلات الغناء، كحميدة موسى وأبي عبعاب وعوض المالكي، وكان حبيبه وصديقه سعد الحوتي من أقرب الناس إليه، وكذلك المرحوم إبراهيم طاهر الشهير بإبراهيم كحة عازف المزمار المحترف، حيث صاحب سويدًا في كثير من أغانيه لا سيما في المرحلة الأولى. لكن من أشد رفقاء دربه كان سعد بو منصور المالكي، عازف المزمار الذي كان موظفًا كبيرًا في قطاع المرافق، ومع ذلك لم يمنعه منصبه من حمل مزماره والجلوس إلى جوار سويد، فكانت النوتة الواحدة تنطلق من المزمار لترفع كلمات سويد إلى السماء.
ما ميز سويد العشيبي عن غيره من المطربين البدو السكندريين، بل عن معظم الفنانين في زمانه، أنه كان إنسانًا مثقفًا بامتياز. كان يملك ذهناً موسوعيًا لا يخطئ الهدف: فهو في الفن ضليع، عارف بأصوله وضروبه وأساليبه. وفي السياسة كان متفهمًا جيدًا لما يدور حوله من أحداث، يقرأ ويحلل ويعرف خبايا الأمور قبل أن تتكشف. لا يغيب عن ذهن سويد ما تعرضه السينيمات في الإسكندرية وآخر العروض.
كان أبي - رحمه الله - صديق سويد، حيث كان يحضر له بعض عروضه الفنية، وكان أحيانًا يصطحبني معه لزيارة سويد لنجلس أمام بيتهم في منطقة (المحمرة) بفضاء سيدي بشر. كنت طفلاً صغيرًا، لكن ذلك الجو شبه الصحراوي الذي تمثله الكثبان وبيوت العرب كان يغريني ويأسر خيالي. كنت أشعر كأنني دخلت إلى دنيا بدوية حقيقية، لا إلى ضاحية من ضواحي الإسكندرية.

هناك، وبين تلك الكثبان، كان سويد يحدث أبي عن ليبيا، عن بنغازي، عن الجبل الأخضر، عن المرج وتاكنس، عن عين مارة وعيون الغياب، بألم وحنين لا يوصفان، كأنه كان يغني لتلك الأماكن قبل أن يغني لها.

واظبت على علاقتي بسويد العشيبي بعد وفاة أبي - رحمه اللّه - (عليهما جميعًا) من منطلق أن "صاحب أبوك صاحبك"، وهذه كانت قاعدة بدوية أصيلة لا تتغير. كانت صداقتنا تمتد عبر السنين والمسافات، ففي كل زياراتي إلى مصر أو زياراته إلى ليبيا، كنت ألتقيه. وكان يلقاني بفرح كبير لا يتصنعه، يضمّني إلى صدره بحرارة، ويقول بتلك العبارة التي لا تزال ترن في أذني: (مرحبتين بصاحبي وولد صاحبي). كان يشعرني بأنني لست مجرد صديق عابر، بل جزء من تاريخ طويل من الوفاء والمحبة، جزء من سلسلة بدوية تمتد جذورها إلى أعماق الصحراء.
سويد العشيبي كان قيمة فنية كبرى، عرفها جيلنا والجيل السابق علينا، وستعرفها الأجيال القادمة إن أنصفت .

لم يزل صوته يصدح في آذاننا عاليًا، معلنًا أن بعض الأصوات تبقى في ذاكرتنا كالأوابد، شاهدة على زمن كانت فيه الأغنية البدوية السكندرية في مجدها. سويد العشيبي هو ذلك البدوي الذي غنّى للقمر والبحر، وغنّى للغزال وللحب، وغنّى لكورنيش بنغازي وللجبل الأخضر وعين مارة، وغنّى لكل ما هو جميل بعيدًا كان أم قريبًا، فخلّد صوته كما خلدت الرمال خطى البدوي في الصحراء، وكما خلد البحر أسراره للأجيال.

رحل سويد الجسد، لكنه بقي صوتًا يمشي على الكثبان، ويجلس على الربوة، ويهمس في آذاننا كلما هبت نسمة من البحر، أو لمع قمر على الشاطئ، أو اشتقنا إلى وطن بعيد، أو تذكرنا عين مارة وكيف كانت تسيل في الجبل كما تسيل الدموع على الخدود، أو سمعنا مزمارًا بعيدًا يأتي بالحنين والذكريات، حنين إلى ليبيا، إلى بنغازي، إلى الجبل الأخضر، إلى أيام كنا فيها أقرب إلى أنفسنا قبل أن تكبر بنا المسافات وتقسو بنا الأيام.

سكندريات

عيد وحيده

في دائرة الضوء





أُحدِّثكم اليوم عن شخصية ستتوقف أمامها كتابة تاريخ البناء والتشييد كثيرًا.
شخصية عصامية ذات إرادة من فولاذ، تذكّرني بالجيل الذهبي من رجال التعمير الذين سجّلوا أسماءهم بحروف من ذهب في مجال البناء، مثل عثمان أحمد عثمان وحسن علام؛ فتتشابه البدايات، ويبقى أثر النجاح ظاهرًا في سلسلة من الأعمال.
السيد أبو زيد مقاول، بدأ حياته عامل بناءٍ بسيط، جاء من ريف مصر إلى الإسكندرية محمَّلًا بحلم التميز والنجاح، وقرر أن يتقدّم ويتميز في صنعته، وكان له ما أراد بعد توفيق من الله.
صدِّق أو لا تصدّق، مثله الأعلى قائدنا القوي الأمين عبد الفتاح السيسي، ولهذا أسباب يرويها أبو زيد بنفسه، فقال:
"كنت أمرّ بأزمةٍ في قلّة الدخل المحدود من العمل، وكنت أكاد أصاب بالإحباط، أو أفكر في العمل بمجال آخر، أو حلم السفر والبداية في دولة أخرى.
وفي يومٍ كنتُ أشاهد القائد السيسي يتكلّم عن أهميّة أن تؤمن بما تعمله، وأن لا تعطي الفرصة لأحد أن يُحبِطك، وقال نصًّا: لو حد زعّلك اشتغل، ولو شفت إن اللي بيحبّطك بيحاول يوقّفك اشتغل أكتر، وكل ما حد يشمّت فيك اشتغل أكتر... وكان هذا الكلام هو نقطة التحول وبداية الانطلاق بتوفيق ربنا.
كان كلام القائد بالنسبة لي رشة علاج، أو بالأدق كان كتالوج نجاح.
بدأت يومي من صلاة الفجر، نظّمت أعمالي، ووضعت خطة للانطلاق وشقّ الطريق الصعب في البناء والتعمير، أعدت هيكلة الشركة التي شرفت برئاسة مجلس إدارتها 'أبو زيد وأمان للمقاولات العامة والاستثمار العقاري'!
واصلت الليل بالنهار والنهار بالليل حتى اكتمل طريق الحلم للوصول إلى ميدان النجاح بتوفيق الله.
لذلك أنا أرجع نجاحي وتوفيقي إلى الله أولًا، ثم إلى قائدنا القوي الأمين."

انتهى كلام أبو زيد.

وهنا قررتُ أنا عيد وحيدة أن أمنح هذا الرجل العصامي لقب "شخصية العدد"، والذي أصبح اسمه يقترن بأسماء كبار المقاولين في بناء وتعمير مصر المحروسة.
أبو زيد: رجل في دائرة الضوء.



تسريبات من مقر إبليس

(٤)



د.م. إبراهيم شعبان



ابتهالات ابليس

قال ما قاله مندوب السماء إلى إبليس، أخبره بشروط السماء القياسية عليه، بعد أن جرب واستلذ بالمعصية من كافة جوانبها، وتعلم ما تعلمه من أهل المحروسة من أساليب وطرق الضلال والغواية، وكيف يحلل ويحرم ذات الشيء دون أن تطرُف له عين. ومن الأساليب الحديثة التي لم تكن في عهده يوم وعد الحق بأن يضلّل عباده أجمعين...

أمره المندوب بالعودة إلى عمله السابق فورًا، كما جاء في الخطاب الذي لم يكن ليقرأه، وأن هذه التجربة كافية لتعديل خططه واستراتيجيته في تغيير النفوس، والتي كان يجهلها جميعًا منذ آلاف السنين.

ترك إبليس دكان العطارة وبيته ومريديه من أهل الأرض، أسفًا كل الأسف على ترك كل ذلك، والعودة إلى رئاسة الأباليس... وكما وعد، وإبليس لا ينسى، انتظر العشر الأواخر من رمضان وطار إلى الحجاز مرة أخرى لأداء عمرة اختصها وضمّرها في نفسه، ليدعوَ اللّه ويستجير به، لعل اللّه يجعل له مخرجًا من حيث لا يحتسب...

اعتمر إبليس وطاف وسعى سعيه، ثم صلى في مقام إبراهيم مستغفرًا وتائبًا عن كل نقص في غواية البشر، ثم سجد مستوحيًا من حديث خلق آدم وأمرهم بالسجود، وحديث الملائكة إلى رب العزة يوم أوحى إليهم أنه خالق بشرًا من طين، فجزعت الملائكة قائلين: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ). هنا سجد وأطال ذاكرًا ذلك، قائلًا: يا اللّه، كم أنا كنت غافلاً ومُغَفَّلًا يوم ذكرت الملائكة إفساده وسفك الدماء... لماذا كنت مُغَفَّلا لأدعي أنني قادر على غوايتهم وإفسادهم وهم فاسدون خلقًا



وخُلُقًا؟ ألم يُخلق من طين قذر، ثم ها هو نسله يأتي من ماء مهين... أين أنا وذاك؟ ماذا، يا إلهي، أفعل أكثر من رجل يخرج من المسجد يسب الدين لمن كان معه في الصلاة؟ ماذا كنت أفعل أكثر من شيخ صوفي يدعي أن نكاح الأم جائز حال غياب الأب، وكان أقصى ما أرجوه منهم نكاح زوجة أبيه؟ ماذا أصنع بمن أفتى بأنه يجب على المسافر أن لا يفاجئ زوجته حتى لا يحرجها إن كانت تحت رجل آخر، فلينتظر على القهوة حتى يأتي الصباح؟ لماذا تعذبني قبل اليوم الموعود؟ ماذا أصنع لامرأة تدعو إلى نكاح البهيمة علنًا وتدعو إلى وجوب رضاعة الكبير؟ ماذا يستطيع أن يفعله جيشي الذي لا يملّ ولا يكلّ أكثر من الدعوة العلنية في التلفاز بأن الحمل تصل مدته إلى ٥ و ٧ سنوات، ومهما كان الزوج مسافرًا ولم يقربها، وعليه أن يربي الصغير لأنه ابن الفراش، وعلنًا يعلن للنساء أن اعملوا ما شئتم من معاصٍ فلا بأس؟ ماذا أصنع برجل يأمر بنكاح الطفلة إن استطاعت تحمله؟ وعزتك وجلالك، أنا في غمّ كثير، كيف أخطط لمستقبل زاهر من الغواية أكثر من ذلك؟ لقد علمتهم السحر فجاءهم من يفك السحر بنكاح المسحور... ماذا أفعل مع أولئك أصحاب الملايين الذين يرشون ويرتشون في وضح النهار قبل الصلاة وبعدها؟

ربي، إني الآن في حَيْصَ بَيْصَ من أمري، فلم أعِ من قبل قولك يا ذا العزة والجلال: (إني أعلم ما لا تعلمون)، و(لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا). حقًا حقًا حقًا، لقد خُدعتُ يا الله، فاستكبرتُ وأيقنت أني أستطيع غواية آدم وذريته، ولقد نصبت لي فخًا يا مولاي لأتعلم أن لا أعصي لك أمرًا. وها أنا ذا في بيتك المحرم في شهرك الكريم، أرجو أن تعفيني من وعدي السابق يوم الجهالة، وأنت تعلم إني لم أغوِ آدم وحواء، ولم أُغوِ قابيل ليقتل أخاه، إنما كان قضاؤك المحتوم أن يكون البشر جميعًا من نسل ذلك الشرير. اللهم إن لم



تقبل صلاتي ودعائي هذا، فأنا أدعوك يا الله يا قوي يا قدير أن تهدي ولو ربع شعب المحروسة حتى أستطيع غوايتهم مفتخرًا بأعمالي عندك. اللهم تقبل صلاتي ونسكي ودعائي، وأني عائد إلى موقعي في الدعاية والإعلان لما فيه فساد الأمة والبشر أجمعين. آمين آمين آمين، والسلام.

الاجتماع الطاريء

فورًا وبعد انتهاء عمرة العاشر من رمضان التي قضاها إبليس متوسلًا إلى ربه أن يعفيه من وعده يوم خلق الله آدم وأمره بالسجود فتمادى في العصيان قائلًا: (أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا)، مضيفًا: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)... أو يهدي فيهم قومًا ليقوم هو بعمل غواية لهم، لأنه وعشيرته وجنوده لم يصيبوا أحدًا بغوايتهم، حيث بدا لهم جميعًا أن قابيل قد وضع جنباته بحق في جنبات الأرض، وأصبح الشياطين بلا عمل يُذكر...

تذكر إبليس كل ذلك وتأكد أن الله لن يستجيب له، فلم يتصل به مندوب السماء وتركه كما كان حائرًا: ماذا يصنع؟ وكيف يجدد في خطابه الدعوي الذي ظل متمسكًا به بقوة منذ قرون طويلة من الزمن؟ ولكنه حين نزل إلى الأرض أحس وأيقن أنه هو وجنوده من الفاشلِين... ألم يقل لرب العزة: (إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)؟ أين هؤلاء العباد؟ اللهم لا حول ولا قوة إلا بك... هكذا كان يفكر وحيدًا: كيف أغير دستور إبليس الذي لا يأتيه إلا الباطل من بين يديه ومن خلفه؟ على كل ذلك قدري الذي اخترته لذاتي ولقومي، وما عليّ إلا أن أجتمع بمجلسي الموقر وأرى بم ينصحون...

طلب إبليس من أمين مكتبه أن يرسل الدعوة فورًا للاجتماع بوزرائه وسادة قومه في الحال.



فاجتمع المجلس وبدئهم بالقول: هذا اجتماع خاص جدًا وخطير للغاية، أرجو أن يكون سريًا... أنتم تعلمون جميعًا ما حدث بعد خطابي إليكم يوم قررت رصد الأعمال في الأرض، واخترت المحروسة لأنها أقوى الأمم في دول الشرق وأكثرهم عددًا، وكانوا قومًا فراعين بحق، وأكثرهم تنوعًا في طرق الغواية. فكان ما تعلمون، وقد طلبت العفو من الله لكن لم أُجب. اليوم نحن مجتمعون لبحث كيفية صياغة دستورنا العظيم وتجديد خطابنا إلى القوم في الأرض. هل نتبع استراتيجية سلفهم الصالح ونشعل الحروب بينهم من جديد حيث القتل والسحل والغضب والسبايا والغلمان والثروة بغير حساب؟ ولكني، لسوء حظنا، أصبح لهم طرق أخرى شرعية أسوأ من السبايا، وأصبح ما علمتم من السيدة التلفزيونية أن نكاح البهيمة يجوز، ووجدت ما علمتم من الشيخ الموقر أنه فتح الباب على مصراعيه لغواية النساء، حيث أصبح الحمل عندهم جائزًا من خمسة أشهر بعد الزواج إلى سبع سنوات كاملة للزوجة المسافر زوجها، وعليه رعاية هؤلاء، فهو يكدّ ويكسب وينفق، وهي تكدّ وتتمتع وتنجب... وغيره كثير، صدري فيه غضاضة من قوله أو التفكير به. وإني منتوٍ على عمل فرع خاص للدعايةً والإعلام، نذكر فيه القوم بأشياء جديدة مستحبة لهم ويجيزها أهل الحل والعقد عندهم، ويكون فيه إرباك بين القبول والرفض على جميع قنواتهم التلفازية وكتبهم وجرائدهم. فأعينوني بقوة بنصائحكم.

أنهى إبليس خطبته وهو يهتز ويرتعش، وقلبه يكاد يخرج من صدره لولا وعد الله له أنه من المنظَرين، وكان يتمناها ولكن هذه هي المشيئة.

أخذ المجلس يتناقش ويتباحث في الأمر ويقلبون كل رأي حُلْوَه ومُرَّه، وجاؤوه بأول رأي: ما رأيك يا سيد الأباليس أن نشكل حكومة موازية من الوزير



إلى موظف إدارة المعاشات، ونوظف معهم رهطًا من رجال الأعمال، يركب كل واحد في وظيفته على رأس قرينه من البشر، فيوحي إليه ما هو أكثر شرًا مما ينويه، ونقرب وجهات النظر بين المحافظ وشركات أعمال الرصف والطرق والكباري. فمثلًا، بدل الرصف السطحي الخفيف بلاش رصف خالص، وينصّصوا مع بعض. ويقوم رئيس الشركة في المناقصات بفتح المظاريف المالية في السر، ويبلغ أحباءه بما بالأسعار الأخرى، ويزيد أو ينقص ويرسي عليه المناقصة، ويستلم أي بضاعة، ولا مين شاف ولا مين درى.

إبليس: إنت بتخرف، بتقول إيه؟ ماهو ده اللي بيحصل بالفعل. اقعد يا حمار... غيره.

بعد تعثّر في المجلس وارتباك شديد، وقف أحدهم ودعا لإبليس بالتوفيق ثم قال: نخلي الحكومة الموازية زي ما اقترح أخي الفاضل، وسنزيد عليها بعض الفقهاء من الشياطين ينصب عملهم في مراجعة أعمال القرناء من البشر. وكذا أريد أن أذكر معاليكم بالحكاية التي رويتها لكم عن (السلطان والمقدس).

إبليس: ذكرني بها وأطلب من أحد أعوانك طلبها من الفيسبوك مكتوبة واقرأها لي، لأني كما تعلم لا أعرف القراءة ولا الكتابة.

الأباليس: أنا فعلًا طلبتها من الفيسبوك وطبعتها، وأهم ما فيها: تتذكر معاليكم أن السلطان خرج من غرفة الجواري ومعه مج كبير بالنسكافيه متسائلًا: من الأقوى والأكثر دوامًا وقبولًا، السلطة أم المقدس؟ فأجاب الجميع بأن السلطان هو الأقوى، إلا الحكيم كعبلون الذي لم يخجل وأفتى وزعم أن المقدس هو الأقوى والأكثر دوامًا وتعظيمًا. وقد تنافسا كل من السلطان والحكيم كعبلون في إثبات رأيه بالتجربة، وفاز



الحكيم كعبلون بعد أن قدم لهم حمارًا ادعى أنه من سلالة ركوبة الأنبياء، وأنه الحفيد التاسع عشر من ذلك الحمار الذي أماته الله وأحياه وكساه لحمًا كما كان، فما كان من شعب السلطان إلا أن عبدوا الحمار وتبركوا به. هذا ملخص ذاك.

إبليس مبتهجًا فرحًا يشيط نارًا من فرط السعادة: هذا هو القول الصائب، هذا هو الصواب بعينه. انزلوا إلى الأرض أيها القوم واملؤوها بالمباني الشاهقة المقدسة، وألزموا كهنة الأديان، واجعلوا في كل حارة كشكًا، وأكثروا من رجال الفتوى، واجعلوا المقدس نصب أعينهم وقبل ربهم، وسيتقاتل الكهنة من جميع الأديان وتنشر فتاوى القتل وتنزف الدماء وتشتد المعارك ولا يكون لسلطان فيها مكان. اجعلوا من الإعلام صديقًا لكم، افتحوا لهم الطريق سلسًا لكل غواية.

إبليس: أيها الحكيم، أنت من الآن صديقي العزيز، ولا أقطع برأي إلا بعد مشورتك. ما رأيتك من أزمان، هلا ذكرتني باسمك.

الحكيم: هذا عظيم الشرف يا مولاي، أما اسمي فهو كعبلون يا مولاي.

إبليس: ومن كاتب هذه القصة عن السلطان والمقدس؟

الحكيم: صديقي على الأرض واسمه كعبلون أيضًا يا مولاي، هو الذي علمني الحكمة يا سيد الأبالسة.

إبليس: ونعم الصداقة يا كعبلون. أيها الخادم، ائتنا بعدد اثنين مج من النسكافيه الممزوج بالويسكي لي وللسيد كعبلون الحكيم، وابعثوا للسيد كعبلون في أرض المحروسة مجا مثلنا تمامًا ومعه كارت بالشكر والامتنان.

حكايات لا تؤجل

فريحة المريمي



الوطن، حين نكتبه بقلوبنا لا بأقلامنا



ليست كل الحكايات تُروى ، بعضها يُعاش بصمتٍ ، ويُحفر في القلبِ ، دون أن يجد طريقه إلى الكلمات .

والوطن ، واحدة من تلك الحكايات . نحاول أن نكتب عنه ، فنكتشف أن اللغة أضيق من إتساعه ، وأن الحروف مهما أزدانت ، تعجز أن تحتويه . كيف نختصر وطناً في سطرٍ؟ وكيف نصف شعوراً يسكننا منذ الولادة ، دون أن نعرف له بداية ؟

الوطن ليس ذلك المكان الذي نعيش فيه فقط ، بل ذلك الذي يعيش فينا ، هو التفاصيل التي لا يراها الآخرون ، لكنه يراها في أعيننا كلما ذكرناه .



هو رائحة الأرض بعد المطر ، هو صوت الأذان عند الفجر ، هو ضحكات الجيران ، هو وجوه الناس التي تشبهنا ، حتى وإن اختلفت ملامحها .

نحب الوطن حين يكون جميلاً ، ونحبه أكثر حين يتعب.

في أوقاتِ الرخاءِ ، يكون الوطن حضناً دافئاً ، وفي أوقات الشدةِ ، يتحول إلى أختبار حقيقي لصدقنا معه .

وهنا فقط ، يُقاس الحب ، ليس بما نقوله ، بل بما نصبر عليه ، بما نحافظ عليه ، بما نرفض أن نراه ينكسر .

الوطن ليس مسؤولية الآخرين وحدهم ، هو مسؤولية كل واحد فينا ، في كلمتهِ ، في فعلهِ ، في ضميرهِ .

أن تحب وطنك ، يعني أن تكون صادقاً معه ، لا تبرر أخطاءه ، ولا تتخلى عنه .

أن تقف في صفهِ ، لا ضدّه ، حتى وأنت تنتقد ، حتى وأنت تغضب .

نحن لا نملك وطنًا كاملاً ، لكننا نملك القدرة أن نجعله أفضل .

ربما لن نستطيع تغيير كل شيء ، لكننا نستطيع أن نكون جزءاً من التغييرِ ، أن نزرع فكرة ، أن نخفف ألماً ، أن نُعيد الأمل لمن فقده .

فالوطن لا يُبنى دفعة واحدة ، بل يُبنى كل يوم ، بموقف صغير ، بكلمةٍ طيبةٍ ، بنية صادقة .

وفي هذا الركن ، حيث الحكايات لا تُؤَجَّل ، نكتب عن الوطن لا لنُجمّله ، بل لنُذكّر أنفسنا أنه يستحق أن نحبه ، وأن نكون على قدر هذا الحب .

عادات من أفراح البادية

أ.د.إبراهيم العايش



تشكل أفراح البادية العربية موسوعة ضخمة من المظاهر والعادات والتقاليد التي فرضتها طبيعة الحياة التي يعيشونها. فالعادات والتقاليد هي ممارسات وسلوكيات تعكس هوية الشعوب وثقافتها، وتختلف هذه الممارسات باختلاف المجتمعات والدول، بل وحتى المناطق داخل الدولة الواحدة أحياناً. وتتباين الأعراس بعاداتها وخصائصها في المجتمعات البدوية العربية، نظراً لتنوع واختلاف عادات وتقاليد تلك المجتمعات المتناثرة بين أرجاء الوطن العربي الكبير. وبالرغم من هذا التباين، توجد قواسم مشتركة تجمع هذه المجتمعات في أفراحها وأعراسها، مثل: الخطبة أو الخطوبة، والبيان (أو ما يُعرف بعقد القران)، وحفلات الزفّة أو يوم العرس، وغيرها من المظاهر التي قد تجدها لدى كافة المجتمعات البدوية في مناسباتها الاجتماعية المتعلقة بالأفراح.

ولا شك أن المجتمع العربي الليبي هو كغيره من تلك المجتمعات العربية التي لها خصوصيتها في طبيعة أفراحها وأعراسها، ولها من العادات والتقاليد ما قد يميزها عن المجتمعات العربية الأخرى في تلك المناسبات البهيجة؛ بدايةً من أهازيجها وأغانيها الخاصة بتلك المناسبات، وصولاً إلى عدد أيامها

ومسمياتها اليومية وتقسيماتها التي تمثل أيام العرس أو الفرح.

تتميز عادات الزواج في ليبيا بثرائها وتنوعها بين الشرق والغرب والجنوب الليبي، وتمتد طقوسها لعدة أيام، وهي مناسبة اجتماعية بامتياز تشارك فيها القبيلة أو العشيرة وكافة الأقارب، حيث يجمع العرس بين الأصالة والموروث الشعبي.
ومن أبرز عادات وتقاليد الأفراح والزواج في ليبيا ما يلي:

· الخطبة أو الاتفاق (الفضانية): وهي المرحلة التي يتم فيها طلب يد العروس والاتفاق على المهر والشبكة (شروط الزواج).
وفيها يأتي رجال من قبيلة الخاطب وأهله لطلب يد العروس من أهلها.
· يوم القفة: وفيه يتم نقل الأغراض والمستلزمات من ملابس وعطور وغيرها من بيت العريسٍ إلى بيت العروس. وعادةً ما يكون يوم الاثنين، أي قبل الزفاف بأيام، وذلك لأن أغلب تلك المجتمعات تختار يوم الخميس موعداً للزفاف والأعراس.
· يوم الكسوة: ويذهب فيه أهل العريس حاملين ملابس العروس والذهب والهدايا.
· يوم الحنّة (ليلة الحناء): وهي ليلة حناء العروس حيث تتزين وترتدي البدلة الكبيرة أو ما يسمونها "البدلة الوردية".

· الزفّة أو المحضر: حيث تُقام الزفّة للعروس إلى بيت الزوج أو العريس في موكب احتفالي، ويرتدي فيه العروسان وكذلك أغلب الحضور الأزياء التقليدية. ويتضمن ذلك زفّة الأهازيج والأغاني الشعبية التي تعبر عن الفرحة بهذه المناسبة الاجتماعية، وذلك عقب انتهاء حفلة المحضر التي تقيمها أم العريس احتفاءً وترحيباً بقدوم العروس إليهم.

· الولائم والعزائم: يتميز العرس الليبي بتقديم الموائد والمآدب للأقارب والجيران والمدعوين طيلة أيام الفرح، وخاصة وجبة العشاء يوم الخميس، وهو يوم الزفاف عادةً.

وتختلف التفاصيل الدقيقة بحسب المناطق، لتبقى القواسم المشتركة هي مظاهر الاحتفاء الجماعي والاعتزاز بالموروث الليبي في تلك المناسبات. ولعل أكثر ما يميز العرس الليبي هو ما ترتديه العروس والعريس من الزي الشعبي والملابس التقليدية المزخرفة بالألوان، والتي تعبر عن التراث الشعبي لكل منطقة أو مدينة، مما يمنحها نوعاً من التمايز عن غيرها.

وتجدر الإشارة إلى أنه في السابق كانت تقام الأعراس والأفراح في ليبيا على مدى أيام قد تتعدى الأسبوع الكامل، ولكن مع ارتفاع تكاليف المعيشة بدأت هذه المدة تتناقص شيئاً فشيئاً. فقد كان العرس يبدأ

رسمياً من يوم الأحد حتى السبت الذي يليه، وكان كل يوم من هذه الأيام يحمل اسماً مميزاً مأخوذاً من التقاليد التي تُقام فيه؛ بداية من يوم الطلبة أو الخطوبة ورفع الكسوة، وصولاً إلى يوم "أسبوع العريسين" أي بعد إتمام الزفاف بأسبوع كامل. فهناك مثلاً يوم الرمي، ويوم الثالث، وغيرها من مسميات أيام العرس.

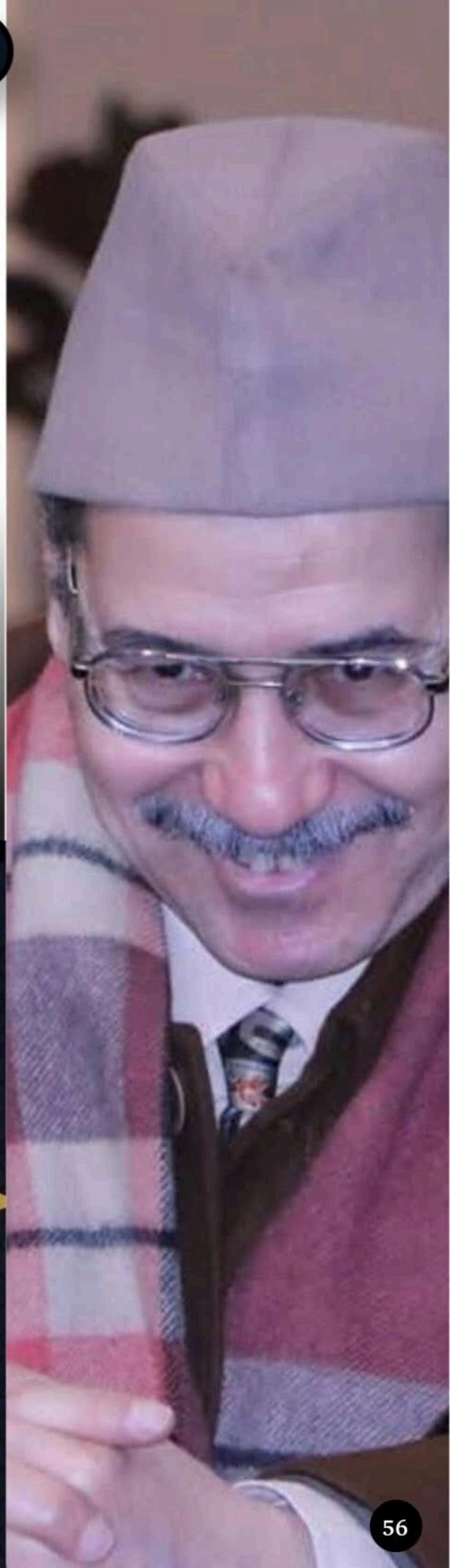
وختاماً، تظل عادات وتقاليد المجتمع الليبي بكافة أطيافه ومناطقه في أعراسه ومناسباته الاجتماعية، تمتلك ما يميزها عن بقية المجتمعات العربية الأخرى، من حيث وصفها وعدد أيامها ومسميات تلك الأيام والملابس التي يتم ارتداؤها للعروسين وحتى لبعض الأقارب، والتي تزين تلك المناسبات وتظهر الفرحة والتمسك بالموروث الثقافي والشعبي. ورغم الحداثة والتطور في طبيعة تلك المناسبات من مدينة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى، تظل بعض العادات الموروثة والتقاليد البدوية هي السمة المميزة لها. وأخيراً، لا شك أن الثقافة والبيئة والموروث هي من أهم محركات الحياة الاجتماعية، فالإنسان وليد بيئته وثقافته. ولذلك نجد أن الكثير من المجتمعات العربية البدوية خاصةً لا تزال متمسكة بالعديد من موروثها الثقافي والشعبي في عاداتها وتقاليدها، وخاصة في مناسباتها الاجتماعية وأفراحها وأعراسها.

هذا يوم تاريخي وجغرافي أيضًا!!

أ. حزين عمر

مُفْرَدَاتُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

إلى أين؟



التي لا تمر الشفافية والمصداقية علي عتبات حكامها !!ــ تصر علي " تثليج " اللغة ،ثم " تجميدها " ثم " تعليبها " ، في هذه القوالب المحفوظة من البيانات الرسمية التي فرغت من مضامينها ، ولم تعد تعني شيئا ..والتحقت بها جثث هامدة من العبارات سابقة التجهيز ، من قبيل : الخيار الاستراتيجي ــ لمَ لا يكون " الموز الاستراتيجي مثلا ؟!! ــ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ــ ولم يعد أحد يسميه بمسماه الدقيق : الصراع العربي الصهيوني ــ والنجاح التاريخي ، واللقاء التاريخي ، واليوم التاريخي ــ إشارة إلي قيمته العالية ــ علي الرغم من أن هذا جميعا : لقاءً أو نجاحا أو فشلا أو يوما ، يقع أمام اعيننا الآن ، ولم يدخل بعد من باب التاريخ ولا من شباكه .. فالتاريخي ــ أي شئ ـ ينبغي أن يمر عليه قرون أو عقود ..فيقال مثلا " منزل تاريخي " و " قصر تاريخي " أي اقترب عمره من قرن ، وإذا زاد عليه فهو (أثري) .. وواقعة تاريخية ، أي حدثت منذ زمن طويل .. ويحتاط المؤرخون في هذا المعني فيسمون أحداثا شاهدناها أو عاصرناها بأنها تنتمي " للتاريخ المعاصر " كاتفاقية كامب ديفيد واتفاقية المناخ واتفاقية ستارت واتفاقيات اوسلو ووادي عربة .. فتفاعلات هذه الأحداث وآثارها المباشرة مازالت تجري علي الأرض .. هنالك مثلا من يرفض اتفاقية السلام بين مصر والصهاينة حتى الآن .. وهذه الأحداث التي تصنف من التاريخ المعاصر ، وليس التاريخ القديم أو الوسيط أو الفرعوني أو الإغريقي أو .. أو .. هي ما يتداخل فيها السياسي بالتاريخي .

• الببغاوات !!

المجانية في التعبير ، وطريقة الببغاوات في ترديد عبارة او جملة أو فقرة ، لا تقف عند اللغة

التي لا تمر الشفافية والمصداقية علي عتبات حكامها !!ــ تصر علي " تثليج " اللغة ،ثم " تجميدها " ثم " تعليبها " ، في هذه القوالب المحفوظة من البيانات الرسمية التي فرغت من مضامينها ، ولم تعد تعني شيئا ..والتحقت بها جثث هامدة من العبارات سابقة التجهيز ، من قبيل : الخيار الاستراتيجي ــ لمَ لا يكون " الموز الاستراتيجي مثلا ؟!! ــ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ــ ولم يعد أحد يسميه بمسماه الدقيق : الصراع العربي الصهيوني ــ والنجاح التاريخي ، واللقاء التاريخي ، واليوم التاريخي ــ إشارة إلي قيمته العالية ــ علي الرغم من أن هذا جميعا : لقاءً أو نجاحا أو فشلا أو يوما ، يقع أمام اعيننا الآن ، ولم يدخل بعد من باب التاريخ ولا من شباكه .. فالتاريخي ــ أي شئ ـ ينبغي أن يمر عليه قرون أو عقود ..فيقال مثلا " منزل تاريخي " و " قصر تاريخي " أي اقترب عمره من قرن ، وإذا زاد عليه فهو (أثري) .. وواقعة تاريخية ، أي حدثت منذ زمن طويل .. ويحتاط المؤرخون في هذا المعني فيسمون أحداثا شاهدناها أو عاصرناها بأنها تنتمي " للتاريخ المعاصر " كاتفاقية كامب ديفيد واتفاقية المناخ واتفاقية ستارت واتفاقيات اوسلو ووادي عربة .. فتفاعلات هذه الأحداث وآثارها المباشرة مازالت تجري علي الأرض .. هنالك مثلا من يرفض اتفاقية السلام بين مصر والصهاينة حتى الآن .. وهذه الأحداث التي تصنف من التاريخ المعاصر ، وليس التاريخ القديم أو الوسيط أو الفرعوني أو الإغريقي أو .. أو .. هي ما يتداخل فيها السياسي بالتاريخي .

• الببغاوات !!

المجانية في التعبير ، وطريقة الببغاوات في ترديد عبارة او جملة أو فقرة ، لا تقف عند اللغة

الدبلوماسية فحسب ، إنما أصيبت بها لغة الصحافة في العقود الأخيرة بعد رحيل رموزها الفكرية العالية : طه حسين ود.محمد حسين هيكل والعقاد وفكري أباظة وكامل الشناوي .. وغيرهم .. فلا يخلو خبر أو تحقيق أو تغطية من مفردات : صرح ، أعرب ، أضاف ، أدان ، أكد ، نفى !!!

وفي مجال الفكر السياسي سيصك أذنك ألف مرة كل يوم من خلال القنوات التليفزيونية والصحف تعبير (الإسلام السياسي) ويقصدون به (التيارات المتطرفة التي توظف الإسلام لنيل مكاسب سياسية) .. وهو مصطلح استشراقي أطلقه الغرب بخبث طوية ، ليصموا دين السلام والمسالمة والمحبة والاعتدال ، بكل ما يرتكبه الإرهابيون والمتطرفون من أعمال وحشية دموية ضد البشرية ..وعلى المستوى العقلي فتعبير (الإسلام السياسي) غير منطقي ..وإذا أقررناه فإن لدينا كذلك (الإسلام الاقتصادي) و(الإسلام الثقافي) و (الإسلام الفني) !! وهكذا ، كما كنت أعترض علي تعبير استاذي الراحل الدكتور عبد اللّٰه خورشيد : (الأدب المصري) وأقول له ـ وهو يحتمل اعتراضي بسعة صدر العالم ـ إذا قسَّمنا الادب علي أساس جغرافي : فنقول : الأدب المصري والأدب الجزائري والأدب العراقي والادب التونسي .... فهذا يعني أننا نستطيع أن نقول : الأدب السكندري والادب الاسيوطي والأدب الشرقاوي ... ثم نقول كذلك : الأدب الأنفوشي والأدب الديرب نجمي ـ نسبة لديرب نجم !! ـ وأدب وسط البلد وشارع عبد الخالق ثروت !!!

• أوبئة لغوية

من الأوبئة اللغوية كذلك مثل هذه التعبيرات :

ـ العالم العربي : وطمسوا التعبير الدقيق والموحي " الوطن العربي " .. فنحن وطن واحد : لغة وثقافة وماضيا أسودَ !! وحاضرا أكثر سوادا !! ومصيرا مجهولا !! .. وما يربط أقطار الوطن العربي ببعضها أعمق مما يربط ولايات أمريكا الشمالية .

ـ " لعبت " الدولة أو الدبلوماسية ، دورا في حل مشكلة كذا ... و" لعبت " هنا تسخِّف وتقزم وتسيئ لدور كبير ما ..نحن هنا بصدد الجد لا اللعب .. والدقيق أن نقول " أدت " الدولة أو الحكومة أو الدبلوماسية دورا ـ مثلا ـ في حل مشكلة غزة .

ـ ما وقع من اعتداء في حق فلان ...والدقيق أن نقول : " ضد فلان" أو " علي فلان" وليس في حقه.

ـ مربط الفرس : تعبير للمتحذلقين من المعلقين السياسيين ـ يعلقون دائما ملابسهم علي أحبال القنوات الفضائية !! ـ ولا أدري لمَ لا يكون " مربط الحمار " أو " مربط المعزة" أو " مربط الجاموسة " .. فكلها مرابط !!!

من أين يبدأ تصويب هذا التشوه اللغوي ، والتخلص من القوالب الجاهزة التي تستهلك وقتا في زمن يقاس بالفيمتوثانية ؟؟!! يبدأ التصويب بتثقيف المتحدثين الرسميين والمسئولين ، ثقافة لغوية : علم اللغة وفقه اللغة وتاريخ اللغة .... علي أيدي المتخصصين ..فإذا كانوا " يصرِّحون " تسعة وعشرين يوما في الشهر ، فليتعلموا يوما واحدا !! وحينها سيكون يوما " تاريخيا " وجغرافيا وغنائيا !!!



الإسكندرية عروس البحر



شعر

م . محمود الفحام

هنئوها
إنها عادت ،شبابا
ترتدي اليوم من السحر ثيابا

وضعوا الاوراق فُلّا حول جِيدٍ
رائعٍ قد ردّ للبحرِ الصوابا

وانثروا العطرَ علي شَعرٍ تدلي
كعبة المشتاق يكفيها عذابا

أيها البحر عروس الأمس عادت
في سنا الحاضر تجتاز السحابا

عاشقٌ صبٌّ وقد لبي نداها
يغسل الأحزانَ عنها والترابا

هاهو السحر علي الكورنيش يسري
بين لمساتٍ يزيّنَ الرحابا

همة الابطال في جُنح الليالي
لاتبالي تصنع الأمر العُجابا

يرسمون الحُلمَ في الآفاق بِشراً
ينقشون الآن في الكف الخِضابا

روعة الإنجاز هذي ام تُراها
دعوةً للفن والفن استجابا؟!

يسأل الزائر قل لي ماعساها
أصبح الإبهارُ للسؤلِ جوابا

هي في الحاضر إطلالةُ زهوٍ
هي في التاريخِ قد صارت كتابا

ياحبيبي إنه الماضي ينادي
إن بين الأمس والماضي انتسابا

بين راقودا وفاروس التقينا
نحضِن الأنسامَ والعطرَ المذابا

ياحبيبي إنها شمسُ حياتي
هل تري نُرخي علي الشمس حجابا ؟!

ياحبيبي انتما عندي سواء
لاتغَر منها و زِد منها أقترابا

قد طلبتُ القُربَ يوما من ابيها
قال من انتَ لترتاد الشهابا

ها همو الخلق جميعاً هل تَراهم
يطلبون الوُد مني والجوابا

أيها الإسكندرُ القاسي تمهل
عاشقٌ للشِّعر إني ...فاستجابا